مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية
GCC Centre for Translation, Arabisation and Promotion of Arabic

سلسلة ملخصات الحلقات النقاشية ٦

مبدعون من الخليج في الشعر العربي

٥ مارس ٢٠٢٤م

سلسلة ملخصات الحلقات النقاشية ٦

مبدعون من الخليج
في الشعر العربي

الفهرس

مقدمة ٥
محاور الحلقة النقاشية ٦
المشاركون في الحلقة النقاشية ٧
الترحيب وإدارة الحلقة النقاشية ٨
تمهيد ٩

المحور الأول:
الرحلة الإبداعية لدى الشعراء المشاركين ١١

المحور الثاني:
تعريف الإبداع وأسباب تفجر ينابيعه من وجهة
نظر الشعراء المشاركين ١٥

المحور الثالث:
مضامين الإبداع الشعري وركائزه ٢٥

المحور الرابع:
الإبداع الشعري في دول مجلس التعاون لدول
الخليج العربية ٣١

المحور الخامس:
رسالة شاعر من الخليج ٣٥
خاتمة ٣٨
التوصيات ٣٩

مقدمة

ينظِّمُ مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية دوريًّا حلقات نقاشية تخصصية يشاركُ فيها بعض المسؤولين والمختصين في المؤسسات المعنية باللغة العربية والترجمة والتعريب وعلماء اللغة وأساتذة الجامعات، وتهدف هذه الحلقات النقاشية إلى تناول مختلف المواضيع المتعلقة بالترجمة والتعريب واللغة العربية حضارةً وثقافةً ومكانةً وواقعًا، بالتنسيقِ مع بعض الجهات ذات الاختصاص في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية وخارجها.

ويأتي إصدارُ هذه الكتيبات من أجل توثيق خلاصات هذه الحلقات النقاشية التخصصية ونشرها؛ لتعميم فائدتها على المختصين والمهتمين كافَّة.

محاور الحلقة النقاشية

- وصف الرحلة الإبداعية لدى الشعراء المشاركين.
- تعريف الإبداع وأسباب تفجر ينابيعه من وجهة نظر الشعراء المشاركين.
- مضامين الإبداع الشعري، وركائزه.
- الإبداع الشعري في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية.
- رسالة شاعر من الخليج.

الترحيب

سعادة الأستاذ الدكتور/ عبدالله بن سيف التوبي

مدير مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية

إدارة الحلقة النقاشية

الأستاذة/ سمية بنت سليمان السليمانية

خبيرة لغة عربية بمركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية

المشاركون في الحلقة النقاشية

الشاعر الدكتور/ عبدالله الخضير

المملكة العربية السعودية

الشاعر الأستاذ/ حسن النجار

الإمارات العربية المتحدة

الشاعر الأستاذ/ محمد اليوسف التميمي

دولة قطر

الشاعر الدكتور/ حسين السماهيجي

مملكة البحرين

الترحيب والتعريف بالمركز

افتتح سعادة الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن سيف التوبي، مدير مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية، الحلقةَ النقاشيةَ بكلمةٍ رحَّبَ فيها بالشعراء المشاركين، متطلعًا إلى استمرار التفاعل مع جهود المركز والتعاون من الجميع في النهوض باللغة العربية ودعم وجودها في الوطن العربي عامة ودول مجلس التعاون لدول الخليج العربية على وجه الخصوص.

وتحدثت الأستاذة/ سمية سليمان السليمانية خبيرة اللغة العربية بالمركز عن الإبداع الشعري بعدّه من أرقى أنواع الإبداع الأدبي، وتطرقت إلى اهتمام النقد الأدبي في دراسة ظواهره وبيان قضاياه. وليس هناك أجدر للحديث عن الإبداع الشعري من الشعراء أنفسهم.

ومن الجدير بالذكر أنَّ المركز يعمل على تحقيق الشراكات مع الجهات والمؤسسات ذات العلاقة بالقدر نفسه الذي يسعى معه إلى استقطاب الطاقات والكوادر البشرية وفق مهامه وأهدافه واختصاصاته. وتأتي هذه الحلقة النقاشية ضمن سلسلة مستمرة من الحلقات تتعدد فيها العناوين وتتطوَّر أنماط تقديمها نحو إحداث شراكة فكرية خصبة مع المهتمين.

تمهيد

يقال بعد أن ينفعل الشاعر بشيء ما قد ترك أثره على نفسه، وألهب عواطفه، وأيقظ أحاسيسه وتفاعل معه، تتوالى عليه المعاني وتنهال المفردات وتتناغم الحالة الإبداعية مع ذات الشاعر، وهنا تبدأ الموهبة الشعرية عملها حتى يكتمل بناء القصيدة.

ويقال إن الإبداع الشعري عملية غامضة معقدة، وأن الموهبة قوة فطرية لكنها غير كافية للإبداع، بل لابد من إتقان صنعة الشعر، وهذا ما حدا بالنقاد إلى دراستها ومحاولة تفسير أبعادها، غير أنّا نؤمن بأن المبدع هو من يستطيع الإجابة عن أسئلة تختص بالإبداع، فكانت هذه الحلقة النقاشية مع أربعة شعراء من أبناء دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، نتحاور معهم بشفافية وانسياب خالص تَحْكمه طبيعتنا الخليجية المميزة التي يتجلى فيها الاحترام والعلم والخلق الواسع وقوة الكلمة.

المحور الأول

الرحلة الإبداعية لدى الشعراء المشاركين

تناول هذا المحور وصف الرحلة الإبداعية للشعراء المشاركين، وسرد أهم محطات الحياة التي شكّلت لديهم الإبداع في مجال الشعر. وفيما يلي آراء الشعراء المشاركين:

لقد عبَّر الشاعر عبدالله الخضير عن نفسه بأنَّه من أبناء الأحساء، مواليد مدينة المبرز، كان والده - رحمه الله - يعمل في شركة أرامكو، وفي آخر كلِّ شهر كان يدخل إلى البيت بمجلَّة القافلة الثقافية التي كانت زاداً معرفياً لكلِّ مَنْ في البيت، وكانت تصدر من شركة أرامكو، ومازالت.

قرأ عبدالله ما يقع في يده من مجلاّت وكتب، ثمّ تفتَّقت ملكة اللغة والأدب لديه، فكان ذا موهبة في الإلقاء ومقابلة الجمهور في مناسبات دينية مثل خطبة الجمعة، ولقاءات اجتماعية مثل مجالس الأدب، وأمسيات أدبية مثل الشِّعر، فكان لديه مجلس أدبي كلَّ يوم اثنين في بيت والده يحضر له الأدباء والشعراء. وظلَّ ينهل من العلوم والآداب في دراسته النظامية من المرحلة الابتدائية إلى حين حصوله على درجة الدكتوراة.

مرَّ عبدالله الخضير في حياته بثلاث تجارب كان لها أثر عميق في تجربته الإبداعية فيما تناوله من فنون الأدب وخصوصاً الشعر، فكانت هذه التجارب ينابيع لكل الموضوعات التي عبَّر عنها. التجربة الأولى هي غربتُه إلى جمهورية جُزر القُمُر، فإنَّ هذا الارتحال أكسبه معاني الحنين والشوق والوحشة والوحدة والخوف التي كان لها أثر ممتد في أشعاره، وكانت نبعاً لما تناولته وجدانياته من حالات التجلّي المختلفة التي تتفرع إلى تشوق وحنين وفرحة بلقاء الأهل والأوطان بعد فراق طويل. أمّا التجربة الثانية فهي إكماله للدراسات العليا بعد انقطاع عن الدراسة الأكاديمية، هذه الدراسة التي جاءت متأخرة، ولكنَّها أضافت إليه حبَّ البحث العلمي، والرغبة في التأليف، والعطاء في التخصص، وكسب المزيد من الثراء العلمي والتواصل الثقافي، والأهمّ من ذلك انعكاس كلّ هذا على نصِّه الشعريِّ الذي أصبح بين مطرقة

شاعر وسنديان ناقد، فجاء شعره يحمل مضامين الفلسفة والتصوُّف والذات، ومجالًا لكتابة الآخرين عنه في دراساتهم النقدية. أمَّا التجربة الثالثة هي قربه من الشعراء والأدباء بصفته عضواً في الكثير من اللجان الشعرية والجمعيات الأدبية ممَّا أعطاه قدراً على الاطلاع على تجارب شعراء الشعر الحديث، فصار بين تأثُّر وتأثير، ومنحه ما يستحقّ من التقدير والثقة واعتلاء المنصَّات لقول الشعر، وكانت مصدراً لتجويد شعره وتطويره.

ويقول الشاعر حسين السماهيجي عن رحلته الإبداعية: مرَّت بعدَّة مراحل. سأختصرها في عدَّة محطَّات. هناك محطَّتان أساسيّتان بالنسبة لي. الأولى هي محطَّة الدِّراسة الجامعيَّة في جامعة الملك سعود- المملكة العربيّة السعوديّة. هذه المحطَّة شكَّلت بالنسبة لي القاعدة الأساسيَّة التي انطلقتُ منها في بناء القاعدة المعرفيّة الأدبيّة بصورة علميّة، وذلك بما أتاحته لي من مصادر المعرفة. وبما قدَّمه لي، ولسواي من زملائي، أساتذةٌ أفاضل أدين لهم بالفضل. أمَّا المحطَّة الأخرى فهي محطَّة أسرة الأدباء والكتَّاب البحرينيَّة. فهي التي أخذت بأيدينا إلى عوالم الحداثة والكتابة المغامِرة.

وتأتي بعد ذلك، مغامرة الإصدارات التي تنوَّعت بين المجاميع الشعرية، والبحوث والدراسات، والتّحقيق. أجد أنَّ تجربة الخروج إلى العالَم من خلال النتاج المكتوب تمثِّل تحدَّيًا هائلا للكاتب. فهذا النتاج إمَّا أن يمثِّل نجاحًا أو فشلا. وعلى المبدع أن يراقب ذلك بحساسية بالغة. بدأت هذه المغامرةُ مع الديوان الأول «ما لم يقله أبو طاهر القرمطي» في عام ١٩٩٦م، وتواصلت إلى ديواني الأخير «لهفة المَشَّاء» في عام ٢٠٢١م. وفي الجوار كنت أشتغل على الجوانب البحثيّة. ففي الماجستير اشتغلتُ على «الظاهرة الإيقاعيَّة في الشعر السعودي المعاصر- شعر الحداثة نموذجًا». أمَّا أطروحة الدكتوراة فقد اشتغلتُ على «توظيف التراث الصوفي في الشعر العربي الحديث ...». وفي التحقيق صدر لي تحقيق «كتاب الخطب» للمحدِّث الصالح الشيخ عبد الله بن صالح السماهيجي (ت: ١١٣٥هـ)، ثم تحقيق ديوان أبي المعالي الشريف عبد الرؤوف بن الحسين الجدحفصي (ت: ١١١٣هـ)، ثمَّ ديوان شبّر بن علي المشعل الغريفي (ت: ١٢٨٨هـ).

دون ريب فإنَّ مرحلة الطفولة لها دور حاسم. فيها كنت مغرمًا بالقراءة. كنت أطالع، بشغف، كلَّ ما يقع تحت يديَّ.

ولكنّ، كان لي شغف خاصٌّ بالكتابات الأدبية. من ذلك قراءاتي في السِّيَر والعجائبيّات. كنت، أيضًا، أحبُّ الاستماع إلى القصص وما يتّصل بها. كان والدي رحمه الله يقصُّ علينا كلَّ ليلة ما هو مدهش. ذلك كلُّه صار مخزونًا هائلا في الذَّاكرة والرُّوح.

المحطَّة الثَّانية كانت الجامعة. أنا خريج جامعة الملك سعود. وفيها تشكَّلت ذائقة أدبيَّة خاصَّة. سواء من خلال متابعة الحالة الأدبيَّة في المملكة، أو في المكتبة الجامعيَّة، أو مع الأساتذة الأفاضل الذين أدين لهم جميعًا. في الواقع، كانت جامعة الملك سعود المحطَّة الأهمّ بالنسبة لي. فهي التي من خلالها تشكلت هويّتي الأدبيّة بصورة أساسيّة. وهذه الهويّة الأدبيّة عرفت تطوّرًا فيما بعد من خلال اتصالي بالحركة الأدبية في بلادي البحرين. وعلى وجه الخصوص، من خلال اتصالي بأسرة الأدباء والكتّاب. في هذه الأسرة الأدبيّة كانت هناك رفقة ورموز أدبيّة أسهمت هي أيضا في تطوير هذه الهويّة الأدبيّة. أذكر على سبيل المثال وليس الحصر، المرحومين الروائي فريد رمضان، والناقد محمد البنكي. ولا أنسى، هنا، أسماءً ورموزًا كان لها دور كبير أيضا. منهم أستاذنا الكبير الدكتور علوي الهاشمي، علي عبد الله خليفة، علي الشرقاوي، يوسف حسن. والصديقين الناقد فهد حسين، والشاعر كريم رضي. تلك الأسماء جميعًا تحضر عندي لما لها من أهميّة خاصّة، بحيث أستطيع القول إنّها تمثّل محطّات إبداعية مهمة بالنسبة لتجربتي.

أمَّا الشاعر محمد التميمي، فيقول عن محطات إبداعه: لكلّ محطةٍ إبداعها ما يميّزُها. فالحياة يراها الشاعر الفيلسوف قصيدةً مُلْهِمَةً له، فهو يتفاعل مع إبداعها، وتتفاعل هي مع إبداعه كما قال حكيمُ الشعراء أبو الطيب المتنبي:

وَما الدَهرُ إلّا مِن رُواةِ قَلائِدي ... إذا قُلتُ شِعراً أَصبَحَ الدَهرُ مُنشِداً
فَسارَ بِهِ مَن لا يَسيرُ مُشَمِّرا ... وَغَنّى بِهِ مَن لا يُغَنّي مُغَرِّدا

أمَّا أنا فإنّ لي ثلاث محطّاتٍ مع الشعر، فقد كانت انطلاقتي من الشعر النبطيّ (النظم)، هذه المحطّة الأولى. أمّا المحطّة الثانية لي فهي شعر المحاورة (القلطة)، وهو شعر ارتجالي. وأما المحطّة الثالثة فهي مع الشعر الفصيح. وقد أصدرت ديوانين في الشعر النبطيّ والديوان الثالث سيطبع قريبًا بإذن الله. ولي في المحاورة عددٌ من المحاورات مع شعراء المحاورة، وهي مصوّرة. وأما الشعر الفصيح فلي ديوانٌ سيطبع قريبًا بإذن الله تعالى. وقد عارضت المعلّقات العشر لشعراء الجاهلية بالإضافة إلى العديد من القصائد الفصيحة وأغلبها مطوّلاتٌ. فأنّا أتنقّل بين هذه المحطات وأتجول فيها.

وقد تطرق الشاعر حسن النجار إلى ثلاث محطات في مسيرته الشعرية قائلًا: كانت المحطة الأولى، مشاركتي في مسابقة أمير الشعراء في موسمه الثالث في عام ٢٠٠٩م، التي خرجتُ منها أكثر حذرًا مع الكلمة، وأتاحت لي هذه التجربة معارف جيدة في الوسط الشعري على مستوى العالم العربي، وكانت فرصة لإلقاء الضوء على التجربة الشعرية. والمحطة الثانية كانت في أثناء فوزي بالريشة الذهبية في ملتقى الشعراء الطلبة العرب بتونس عام ٢٠٢٠م، وفي هذا الملتقى تحديداً كنا نتعايش مع الشعر إلقاءً ونقداً وحياةً وتنافساً. وأما المحطة الثالثة فهي في دخول ديواني الأخير «نخلع الظل على عتبة الباب» إلى القائمة الطويلة لجائزة الشيخ زايد للكتاب ٢٠٢٤م، والدخول في هذه القائمة أعدُّه تتويجاً للرحلة الشعرية حتى هذه اللحظة.

المحور الثاني

تعريف الإبداع وأسباب تفجر ينابيعه من وجهة نظر الشعراء المشاركين

تناول هذا المحور تعريف الإبداع من وجهة نظر الشعراء المشاركين وبيان أسباب تفجر ينابيعه. فالشعراء المشاركون خاضوا التجربة الشعرية، واقتربوا من تحدياتها ومساراتها. وفيما يلي بعض الأسئلة ذات العلاقة والأجوبة عليها:

السؤال الأول:

ما الإبداع من وجهة نظرك؟

عرَّف الشاعر حسين السماهيجي الإبداع بمقاربات مختلفة قائلًا: بما أنّ الإنسان هو خليفة الله على هذه الأرض؛ لذلك فالإبداع مصطلحًا له عدّة مستويات حال المقاربة النقدية. فأبسط مستوى من مستويات الإبداع هو من خلال ربطه بالدلالة اللغوية المباشرة «أبدع يبدع» التي تأتي بمعنى أنشأ وأوجد من عدم. ولن تجد هذا المعنى كافيًا للدّلالة على ما نحن بصدده. فالإبداع هو قرين الجميل والمُعجِب. ثمّ هو أيضا قرين المُدهِش بشرط السياق الإيجابي. ولذلك استقرّ المصطلح فيما يتعلّق بالنتاج الفنّي أيًّا يكن (شعر، سرد، نحت، رسم ...) على أنّه إبداع من منشئه ومُنتِجِه. إنّ هذا الرّبط الدّلاليّ المجازيّ قد اتّصل بالدّلالة القرآنية المباركة أيضا. قال تعالى +بديعُ السّماوات والأرض_ [البقرة، ١١٧]. وهذه الآية الكريمة المعجزة تصلنا بدلالة منفتحة. فما دام الإنسان هو خليفة الله على هذه الأرض. فهو قد منح القدرة من خالقه على أن يكون مبدِعًا. وهذا في حدّ ذاته آيةٌ أخرى من آيات الله تعالى التي لا تنتهي.

وعلى هذا، فالإبداع ليس مجرّد كتابة قصيدة أو مقطوعة. الإبداع هو إعادة خلق للكون والوجود من وجهة نظر هذا الأديب المبدع. ولعلّ في ذلك إشارة مهمّة إلى المكانة المتميّزة التي كان

يحظى بها المبدع عند العرب منذ ما قبل الإسلام. وقد تطوّرت أدوات التّعالق بهذا المبدع عند العرب؛ وأخذت سياقات مختلفة ومتعدّدة. ومن ذلك الإبداع عند الفلاسفة، وعند البلاغيين، وعند المتصوّفة، وعند النّحّاتين، وعند النّاس العاديّين.

أن أكون مبدعا فهذا يعني أن أمتلك فهمًا جديدًا للكون والأشياء. هو خلق علاقات جديدة تسمح ببناء تصوّرات جديدة لما يجري من حولك. خلقنا الله تعالى كي نعمر هذه الأرض. وهذا واحد من جوانب العمران بمعناه الواسع؛ وليس بمجرّد تشييد الأبنية. ولعلّ هذا العمران المتغيّا ضمن الكلام هو أشدّ خطرًا وأهمية عند بني البشر. فهو الأساس الحقيقي الذي تقوم عليه الحضارات. وعليه؛ فالإبداع من وجهة نظري الخاصة هو أن تعرف من أنت وما أنت. ثمّ، من أين وإلى أين. بذلك، فقط، تكون مبدعا حقيقيًّا.

أمَّا الشاعر عبدالله الخضير فقد جمعت نظرته بين الشعر ذاته ونقده قائلًا: منذُ أن كُلّفت بالحديث عن الإبداع الشعريّ تبادر إلى ذهني أنّ الأسئلة ستحرّك الماء الراكد في هذا الموضوع، وأنّ أيّ سؤال يكشف عن شيء مثير للاهتمام. وسيجعلنا السؤال ندخل في دائرة الفلسفة كما عبّر عن ذلك الفيلسوف الوجودي الألماني «كارل ياسبرز» «الأسئلة في الفلسفة أهم من الأجوبة، «إنّ كلّ جواب يصبح سؤالاً جديداً».

مَن هو المبدع؟ هل عملية الإبداع عملية ذاتية متجددة؟ هل مُناطٌ بعملية الإبداع أن تقدّم فائدة مقبولة للمجتمع؟ هل عملية الإبداع نتاج تفاعلي فردي مع الذات أم مع المجتمع والبيئة المحيطة بالمبدع؟ هل الإبداع قدرة يمتاز بها أشخاص معيّنون؟

أؤكدُ أنّ المبدع هو الذي أسهم إسهامات خالدة للثقافة الإنسانية سواءً كان عالماً أو فيلسوفاً أو كاتباً أو مؤلّفاً موسيقياً أو فنّاناً، هو الذي يقوم بصياغة الحضارة الإنسانية ويعمل على تقدمها ورقيّها من أمثال (أينشتاين، وجويس، وسترافنسكي، وابن النفيس، وابن الهيثم، والبيروني والرازي، وابن سينا، وكبلر، وجاليليووبيكاسو)، المبدع هو الذي ترك تأثيراً دائماً في أفكار عدد لا حصر له من الرجال والنساء وأحاسيسهم، فهناك تأثير لآينشتاين على علماء الطبيعة، وتأثير بيتهوفن في الموسيقى، ومايكل إنجلو في النحت، وشكسبير في الدراما. والمبدعون -عموماً- يشتركون في امتلاكهم خاصية العبقرية التي تعتمد على الإنتاج، كما ذكر ذلك ألبرت

«العبقري هو شخص يقوم بالإنتاج عبر مدى طويل من الزمن لعدد كبير من الأعمال التي يكون لها تأثيرها الواضح والكبير في الآخرين لسنوات عديدة»،

ويقول فرانسيس غلتن في كتابه المعروف (العبقرية الوراثية): « إنّ العبقرية تُعرف بالإنجاز، فالمبدعون قادة ثقافيون». أمّا

الإبداع بصفته مفهوماً لغوياً: عند استقراء القاموس نجد أنّ كلمة (إبداع) في معناها اللغوي هي كلّ محدث وجديد حيث هذا المبدع ليس له ما يسبقه، ومن أتى بأمر جديد فهو مبدع وجاء في لسان العرب « أبدعت الشيء اخترعته لا على مثال»، ومن هذا نستنتج أن لفظ (إبداع) يحمل معنى الجديد المحدث المتفرد، وينطبق على ذلك الفعل الإنساني حيث إذا أتى بما يثير إعجابنا أطلقنا عليه (المبدع)، والإثارة هنا ذكرتني بقول الشاعر العراقي الزهاوي الذي قال:

إذا الشعرُ لم يهززك عند سماعه فليس حريّاً أن يقال له شعرُ

ويصف آينشتاين الإبداع في معادلة بسيطة المعنى، ولكنّها معقدة المضمون للغاية؛ حيث يصفه بأنّه «رؤية ما يراه الآخرون، والتفكير فيما لم يفكّر فيه أحد من قبل».

ويقرُّ الباحثون أنّ الإبداع يكون محصلة مزيج موفق لمجموعة من الخصائص العقلية والاستعدادات الانفعالية، وأنّ أيّ مخيّلة إبداعية يجب أن تتوافر فيها شروط، وبالنسبة للشعر وصلت أشعار العرب إلى أعلى مستوى من الفنّيّة والجودة.

وقد اختصر الشاعر حسن النجار تعريفه عن الإبداع في كتابة الشعر فذكر أنَّ ذلك هو قرين تجربة ومحاولات، وشغف داخلي للكتابة والبوح بما هو مكنون أو تأمل الأشياء من حولنا والتقاط التفاصيل العابرة لتكون شعراً، والإبداع هو العصا السحرية التي تُحَوِّل الأشياء من عادية ومكرورة ويومية ومملة إلى نص يُلتفت إليه، ويتشكل مع مرور الأيام، بإعطاء الذات مساحتها من القراءة والتجريب والتأمل.

وختم الشاعر محمد التميمي تعريف الإبداع عامة، فقال: الإبداع من وجهة نظري هو القفز عن كلّ ما هو مألوف. فإذا تأمّلنا كلمة إبداع وجدنا المدّ الذي بين حرفيّ الدال والعين وإذا دمجنا الدال مع العين يتكوّن لدينا دَع، أي اترك وتجاوز كلّ ما هو مألوف واقفز إلى عوالم الدهشة، فالمدّ يوحي إلى الارتفاع والتجاوز.

السؤال الثاني:

من قدوتك التي ألهمتك وفجرت لديك ينابيع الإبداع؟

قال الشاعر حسين السماهيجي مجيبًا: القدوة بما هي رمز تترسّم خطاه تارة في المجال نفسه. وتارة أخرى، بما هي قادرة على أن تمنحك الثقة وتسخّر لك الإمكانيات التي بحوزتها كي تتقدّم. هناك قدوة على المستوى الخاص، وقدوة على المستوى الإبداعي. في هذا الإطار، تحضر العلاقة مع أقرب النّاس «الأمّ، الأب» بقوّة بالغة. هذان الشخصان كان لهما الحضور الكبير الذي شكّل دافعيّة خاصة للانطلاق. وعلى المستوى الإبداعي، فإنّ تعلّقي بشخصيتين ضخمتين جدّا «المتنبي، ابن عربي» قد خلّق وعيًا خاصًّا عندي. هذا الوعي امتدّ فيما بعد ليجد صداه في نتاجي الإبداعي واشتغالاتي البحثيّة.

ثمّ هناك المرأة والحبّ. المرأة هي رمز الخلق والبهاء في عالَمنا المليء بالقبح. هي سرٌّ من أسرار الوجد. ولي هذه المقطوعة من ديوان (لهفة المشّاء):

ومَيّاسةٍ مالتْ بها نشوةُ الصّبا ... عَلَيَّ ومالتْ بِيَ لها نشوةُ العِطْرِ

فكنتُ الذي ما زال غَيَّبَهُ الهوَى ... أنا العاشقُ المُغْشَى عليه ولا يَدْرِي

ولي مقطوعة أخرى من الديوان نفسه (لهفة المشّاء)، أقول:

وقالتْ لي الصّوفيُّ يعشقُ؟! قلتُ إيْ ... ورَبِّـــكِ إنِّيْ يعلمُ اللهُ عاشقُ
فقالتْ وأيُّ العِشْقِ؟ قلتُ الذي رَمَى ... فَأَصْمَى فؤادِيْ والعيونُ رواشقُ
فهذا فؤادِيْ نَالَهُ منكِ حارِقٌ ... وإنسانُ عينِيْ في بُحُورِكِ غارقُ

أمَّا الشاعر محمد التميمي أجاب بأنَّ كلّ مبدعٍ هو قدوةٌ لي كما اقتدى امرؤ القيس بشاعرٍ قبله فقال:

لِمَنِ الديارُ غَشِيتُها بِسُحامِ ... فَعَمايَتَينِ فَهُضبُ ذي أَقدامِ
فَصَفا الأَطيطِ فَصاحَتَينِ فَغاضِرٍ ... تَمشي النِعاجُ بِها مَعَ الآرامِ
دارٌ لِهِندٍ وَالرَبابِ وَفَرتَنى ... وَلَميسَ قَبلَ حَوادِثِ الأَيّامِ
عوجا عَلى الطَلَلِ المَحيلِ لِأَنَنا ... نَبكي الدِيارَ كَما بَكى اِبنُ خِذامِ

والقدوة الحسنة مطلوبةٌ في كلّ شيءٍ بما في ذلك الإبداع؛ لأنَّ المبدع لم يصل إلى هذا المستوى العالي إلاّ بعد اقتداءٍ بمن سبقه، ولكلِّ قومٍ قدوةٌ، كما قال لبيد بن ربيعة العامريّ رضي الله عنه في معلّقته:

مِن مَعشَرٍ سَنَّت لَهُم آباؤُهُم ... وَلِكُلِّ قَومٍ سُنَّةٌ وَإِمامُها

السؤال الثالث:
كيف يتشكل الإبداع من وجهة نظرك؟ ومتى؟

أجاب الشاعر حسين السماهيجي عن هذا السؤال بقوله: سأدمج الإجابة عن شقّي السّؤال، وأجعلها في سياق واحد. الإبداع هو اللحظة التي تتخلّق فيها المادّة الجديدة. هذه المادّة مشروطة بما أشرت له سابقا. لذلك، يتشكّل الإبداع من خلال عمليّة معقّدة جدّا من الفهم العقلي، والاستجابة العاطفيّة. بمزيج من لحظات الفرح أو الألم بدرجاتهما المختلفة. على المستوى الشخصي، يحدث لي كثيرا أن أبدأ كتابةً ما ولكنّ لا أكملها لسبب خارج عن إرادتي. وربما أكون متعلّقا جدًّا بتلك الكتابة. ولكنّ مع ذلك لا أتمكّن من الإكمال. وربّما تتهيّأ الظروف لاحقًا لإكمال ما بدأته. وحدث عندي، مرّة، أنني كتبت بيتًا استجابة لحادثة ما، ثمّ توقّفت عن الكتابة. ولم أكمل القصيدة إلا بعد ثلاث سنوات.

هناك مستوى آخر من تشكّل الإبداع. يتمثّل في إعادة الصياغة بتخليق النص مرة أخرى. وجدنا مثال ذلك، عند الشاعر أدونيس في بعض كتبه التي أعاد إصدارها لاحقا مع تقييدها بعبارة (صياغة نهائيّة). وهذا الأمر قد يحدث للكثيرين ولكنّ مَنْ يقيّد ذلك منهم قليل. هنا، كان الشاعر أدونيس قد تعامل مع الطبعات الأولى لنتاجاته باعتبارها مسوّدات قابلة للتنقيح والتغيير إن استلزم الأمر. طبعا، مع التصريح بذلك. معظم المبدعين لا يلتزمون بالمسوّدات الأولى لما يكتبونه. وربّما لو عمدوا إلى ذلك لندموا ندمًا شديدًا لاحقًا. بل إنّ هناك نماذج قديمة تصل إلى الشعراء في عصر ما قبل الإسلام. كما في شعر الحوليّات.

واختصر الشاعر محمد التميمي رأيه محدِّثًا: في الحقيقة إنّ كيفيّة تشكّل الإبداع ومتى يحدث هذا التشكّل هو من الأمور التي تخفى عليّ؛ لأنّ القصيدة تباغتني وتفاجئني في أي وقتٍ من الأوقات، بل إنني قد أستيقظ من النوم في منتصف الليل لكتابة قصيدةٍ انهالت وانثالت كما ينهال كثيب الرمل. وقد قلت في مطلع قصيدةٍ لي:

يـا أمَّ بلبلةٍ عـودي إلى الـدارِ ... قـدْ فتّتَ البينُ فيها قلبَ أحجارِ
لمْ يبقَ في رسْمِ ظبي الإنسِ حينَ مضى ... إلاَّ سـوافِعُ قـدْ حيطَت بأبعارِ
إنّي وقفتُ عَلى الأطـلالِ أسألُها ... عيّتْ جواباً ومـا جـاءت بأخبارِ
لمـا رأيـتُ ديـارَ الـقـومِ خالـيةً ... فاضت عيوني لقد جادت بأمطارِ
يـا أمَّ بلبلةٍ أدمـيـتِ مُهْجَتَنا ... ومـا عليكِ إذا صـوّبتِ مـن ثارِ
كـأنَّ عيني إذا سحّت مدامِعُها ... طوفانُ نـوحٍ بها أو مـوجُ أبحارِ
وقفتُ فيها وخـدّي صـابَهُ غـرَقٌ ... والقلبُ أصبَحَ بينَ النارِ والغارِ
صمَتُّ حتّى فـؤادَ الصبِّ هيّجَهُ ... نـوحُ الحمام على أغصانِ أشجارِ
كتمتُها في صميم القلبِ فانفَجَرَت ... والنفسُ ما بينَ إظهارٍ وإضمارِ
حانَ الرحيلُ فظَلَّ الدمعُ منسكباً ... والعيسُ من أجلِهِ شُدَّت بأكوارِ
مضت وقد تركت في القلبِ ما تركَت ... والنفسُ باقٍ بها آثارُ ديّارِ
رحلتُ لما رأيتُ القومَ قدْ رحلوا ... على عُذافرةٍ في وقتِ أسحارِ
حرف تضيءُ ظلامَ البيدِ إنْ نظَرَت ... كـأنَّ في عينِهَا دوراتِ أقمارِ
كـأنَّ ركضَ قلوصي في مفازَتِها ... ركضُ التي هرَبَت من بطشِ إعصارِ
يا لهفَ نفسي على رؤيا الحبيبةِ إذْ ... شطَّ المزارُ وأجرى دمعيَ الجاري
وحـالَ من دونِها يهماءُ قاحِلةٌ ... وأختُها مثلُها يا طولَ أسفاري
وبلدةٌ مثلُ ظهرِ الترسِ موحشةٌ ... من عصرِ آدمَ لم تظفَر بإعمارِ
سلاسلٌ من قفارِ البيدِ تحسبُها ... عُـدَّتْ لتقييدِ ظُـلّامٍ وأشـرارِ
قد حالَ من دونِها بيدٌ كأنَّ بها ... من السوافي قلاعاً ذاتَ أسوارِ
كثبانَ رملٍ بصحراءٍ تخالُ بها ... صوتَ الرياحِ العواتي عزْفَ قيثارِ
كأنَّ أرواحَها في النفسِ حشرجةٌ ... والجنُّ تعزِفُ في الصحرا بأوتارِ
وفي الفيافي بناتُ الجنِّ لاعبةٌ ... تجولُ فيها بإقبالٍ وإدبارِ
ونازحٍ موحشٍ سحْمُ الذئابِ بهِ ... تعوي وبيداؤُهُ حُفّتْ بأخطارِ
كمْ مهمَهٍ فيهِ يختالُ السرابُ ضُحىً ... للعينِ لو لاحَ لمْ يصدُقْ وللقاري
كتابُهُ حبرُهُ قدْ خُطَّ من ظمإٍ ... لقَدْ ظمئتُ وما آلُ كأنهارِ
لولا القصيدُ لماتَ الصبُّ من كمدٍ ... إنّي أحلّقُ عن حزني بأفكاري
إنَّ الفرائدَ إنْ نعمانُ جاءَ بها ... تنهالُ مثلَ كثيبِ الرملةِ الهاري
إنّي أنا البحرُ أرمي للورى دُرراً ... والبيدُ سارت مطاياها بأشعاري
أسابقُ الريحَ في شعري وأسبقُها ... فالخيلُ خيلي وذا المضمارُ مضماري

السؤال الرابع:

أيهما صنع الإبداع لديك، الألم أم النشوة؟

عبَّر الشاعر حسين السماهيجي عن ذلك قائلًا: كلاهما. بل إنّني لا أستطيع تقديم أحدهما على الآخر. هذا يحضر، وذاك يحضر. بل إنّهما يحضران بوصفهما مكوّنين أساسيّين للعمل الإبداعيّ. لعلّ في هذه الأبيات بعض الملامسة. أقول من قصيدة لي بعنوان (الطائر المحكيّ):

أباغتُها أنّي أسيلُ مُنَضَّدَا ... وأتلو مزاميري إذا شئتُ مُنْشِدَا

وأسقِي أصيحابِيْ من الوِرْدِ عَذْبَهُ ... وإنْ رحتُ ظمآنًا وَبِتُّ مُسَهَّدَا

أنا الطّائرُ استَفَّتْ جَناحَيْهِ رعشةٌ ... فَصَفَّهُما والأُفْقُ بَرْقٌ تَفَصَّدَا

تَرِقُّ له الرِّيحُ الّتي عن شمالِهِ ... وتعوِي له الأخرى تُخَرِّقُ ما ارتَدَى

وأَسْرَرْتُ هذا العشقَ حتّى كأنّني ... أداوِي جنونًا أو تَغافَلْتُ أَرْمَدَا

وإنْ قلتُ شِعْرًا رحتُ أَكْتُمُهُ ولم ... أُبالِ بما قال السِّوَى وارتَدَى الرِّدَا

حَنانَيْكَ هذا الشِّعْرُ صوتُ ذئابِها ... إذا جَنَّها ليلٌ سيعلو مُرَدَّدَا

وما كنتُ فيه غيرَ أَحْمَدِهِ الّذي عَلِمْتَ ... بَلَى .. قد كان ذا الشِّعْرُ أَحْمَدَا

فَيا لَكَ لا تَشْرَبْ من الكَدِرِ التَمِسْ ... غديرًا وَرِدْ صَفْوًا وَكُنْ فيه جَلْمَدَا

وَرَوِّ الحَنايا ثُمَّ حَلِّقْ مُرَدِّدًا ... «أنا الطّائرُ المَحْكِيُّ والآخَرُ الصَّدَى»

وفي إطار السؤال نفسه قال الشاعر محمد التميمي: لقد وضعت الإبداع على ميزان لهُ كفّتان؛ كفّة الألم وكفّة النشوة، فوجدت أنّ كفّة الألم ترجح على كفّة النشوة؛ لأنّ الألم همٌّ وثقلٌ والنشوة فرحٌ يطيرُ منه القلب والعقل والثقل يرجح على الخفّة في الميزان. وقد أبدع أبو الطيب المتنبي في قصيدته الأليمة التي رثى فيها جدّته التي ماتت فرحاً عندما أرسل لها أنّه سيزورها بعد طول سفرٍ وغياب. قال المتنبي:

أَلا لا أَرى الأَحداثَ حَمدًا وَلا ذَمّا ... فَما بَطشُها جَهلاً وَلا كَفُّها حِلما
إِلى مِثلِ ما كانَ الفَتى مَرجِعُ الفَتى ... يَعودُ كَما أُبدي وَيُكري كَما أَرمى
لَكِ اللَهُ مِن مَفجوعَةٍ بِحَبيبِها ... قَتيلَةِ شَوقٍ غَيرَ مُلحِقِها وَصما
أَحِنُّ إِلى الكَأسِ الَّتي شَرِبَتْ بِها ... وَأَهوى لِمَثواها التُرابَ وَما ضَمّا
بَكَيتُ عَلَيها خيفَةً في حَياتِها ... وَذاقَ كِلانا ثُكلَ صاحِبِهِ قِدما
وَلَو قَتَلَ الهَجرُ المُحِبّينَ كُلَّهُم ... مَضى بَلَدٌ باقٍ أَجَدَّتْ لَهُ صَرما
مَنافِعُها ما ضَرَّ في نَفعِ غَيرِها ... تَغَذّى وَتَروى أَن تَجوعَ وَأَن تَظما
عَرَفتُ اللَيالي قَبلَ ما صَنَعَتْ بِنا ... فَلَمّا دَهَتني لَم تَزِدني بِها عِلما
أَتاها كِتابي بَعدَ يَأسٍ وَتَرحَةٍ ... فَماتَتْ سُروراً بي فَمُتُّ بِها همّا
حَرامٌ عَلى قَلبي السُرورُ فَإِنَّني ... أَعُدُّ الَّذي ماتَت بِهِ بَعدَها سُمّا

وكان للشاعر حسن النجار رأي اختصره في الآتي: يصنع الإبداع الرغبة في ملاحظة الأشياء والتأمل، الألم والفرح وكل هذه المشاعر هي دافع بلا شك، ولكن إن لم يكن هناك شيءٌ من الرغبة في الكتابة والصراخ بصوت عالٍ ألماً أو فرحاً كمن صرخ «وجدتُها وجدتُها» فلن يكون هناك شعر وإبداع، هناك ما يدفعه من أعماقه ليقول، وينشر حبل غسيله الروحي والتأملاتي على الملأ، فالكتابة جرأة وشجاعة ورميٌ للأنا في هذا التنور المشتعل.

المحور الثالث

مضامين الإبداع الشعري وركائزه

تناول هذا المحور مضامين الإبداع الشعري وركائزه من الناحية النقدية، ومعنى أن يصدر الشاعر ديوانًا خاصًا به. وفيما يلي ما دار من أسئلة تتلخص في الآتي:

السؤال الأول:

ما نظرية الإبداع الشعري؟

اهتمَّ الشاعر عبد الله الخضير ببيان النظرة العلمية والنقدية للإبداع الشعري، فقال: فإذا نظرنا إلى الشعر نجده حالة إبداعية راقية من خلالها يعبر الشاعر عمّا يدور في عقله ويتخلل مشاعره، فالإبداع عملية لا تُبتكر من فراغ بل نتيجة لعوامل مؤثرة، تلك العوامل هي العامل الرئيس لخلق الإبداع عند الشاعر كما يرى أحد النقاد. والإبداع في لحظة ولادته أو في لحظته الأولى يكون موازنة بين ما يحتاجه الروح والجسد، الواقع والحُلم، الشدة واللين، وكان أصدق وأفضل مكان لظهور الإبداع هو الشعر متجسّداً في الصورة المعبرة عن البيئة وأركانها وهمومها.

فالشعر مكمن الإبداع، وتجلّى الإبداع في الشعر الجاهلي من حيث معانيه وأخيلته ولغته يدل على رقي عقلي وصفاء ذهني وعناية فنية ومهارة في الصناعة الشعرية وصياغة معانيه وصوره. وكل ذلك مرتبط بالموهبة، والموهبة الشعرية: هي ملكة ذهنيّة يُفترض أنّها المسؤولة عن قول الشعر وفهمه، وهي مهمّة جدّاً، ووجودها لازمٌ ليصبح الشعر شعراً حقيقياً وتكون القصيدة كاملة.

فالإبداع يكون وليد لحظة معينة تتفجر فيها كل طاقات الشاعر مع تواجد الموهبة في الشعر فيظهر الإبداع بما يحمله من مهارة في توضيح ما يقع على الشاعر من مؤثرات جعلت هذا الإبداع يتمحور ويتبلور في شعره فسواءً كانت هذه المؤثرات نفسية أو اجتماعية أو اضطهاد

أو غربة أو حب أدت جميعها إلى ظهور الموهبة مع الإبـداع. والمواهـب كما قال (لانج وإيكوم) هي «قدرات خاصة ذات أصل تكويني لا ترتبط بذكاء فرد، بل إنّ بعضها قد يوجد بين ذوي الحاجات الخاصة»، ويقول إبراهيم عيد «إنّ القدرة والإمكانية والموهبة ماهي إلاّ تنويعات على معنى واحد هو الإبداع».

ورأى ابن سلام الجمحي في تبرير تفضيل امرئ القيس على شعراء طبقته بأنه «ما قال مالم يقولوا، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنوها، واتّبعه فيها الشعراء «وانتهى علماء اللغة والأدب إلى تعريف الإبداع بأنّه السبق والابتداء، وأنّـه القول أو العمل غير المسبوق، وأنّه الاختراع أو التخليق على غير مثال سابق. ويتوافق (سمبسون) مع رأي ابن سلاّم بقوله « قـدرة الإبـداع هي المبـادرة التي يبديها الشخص بقدرته على الانشقاق من التسلسل العادي في التفكير إلى تفكير مخالف كليّة».

وأهم ملامح النظرية الإبداعية: تجويد النص والعناية به، حتّى عُـرفَ العرب بـأنّهـم أصـحـاب الحـوليـات، ذكـر ذلك صاحب كتاب الصناعتين: « وقد كان هذا دأب جماعة من حذّاق الشعراء المحدثين والقدماء، منهم زهـير، كـان يعمل على

القصيدة في ستة أشهر ويهذّبها في ستة أشهر، ثمّ يظهرها، فتسمّى قصائده الحـوليـات لـذلـك. وقـال بعضهم «خير الشعر الحـوليّ المنـقّـح»، وكثير منهم، كالحطيئة الـذي كـان «يعمل القصيدة في شهر، وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يبرزها».

والإبـداع لا يأتي إلاّ من خلال لغة ينفذ منها المبدع إلى عالمه الشعري، فالتّمكن من مفردات اللغة هو أهمّ المؤهلات فيمن يحب ممارسة الشعر والإبداع فيه، يُضاف على ذلك قدرة الشاعر على استخدامه المجازات، والأساليب البلاغية الجمالية، يقول (بول فاليري) إنّ اللغة هي الجوهر والوسيلة في مفهوم الشعريّة.

وفي رأيي في اكتمال الإبداع لدى الشاعر أن يكون ذا مؤهـلات خاصّة دون غيره من المبدعين ومنها: أن يتمتع باتساع في المعرفة العامة، وعمق في فهم الأشياء، يساعده في ذلك عقلٌ لمّاح والشاعر ذو قـدرة على تحوير الكلمات للتعبير عن الأفـكـار بلغة فيها الكثير مـن التورية والرمز. ويؤكّد مؤسس مدرسة علم نفس الإبـداع مصطفى سويف أحد الباحثين النـفـسـانـيين في مـوضـوع الإبـــداع أنّ «الخطوة الأولى في الكشف عن عبقرية الشاعر أو المبدع بوجه عـام، تكمن في

الكشف عن علاقته بمجتمعه». ويتمثّل في وجود علاقة بين الشاعر وبين مجتمعه، وإحساسه بالبيئة التي يعيش فيها، ويتنفّس من خلالها. إنَّ الإبداع يمنح الشخص إمكانية إدراك ما يدور حوله داخل المجتمع الذي يعيش فيه، وبالتالي يستطيع إنتاج ما يلائم البيئة التي يعيش فيها.

وبصفتي أمارس صنعة الشعر فإنّي أؤمنُ أنّ عملية الخلق الأدبي ما هي في حقيقتها إلاّ إبداع للنص، وتعبير عن رؤية جديدة للكون والحياة، وإعادة تشكيل للأشياء من منظور المبدع الذي يقدمها بين يدي المتلقي قارئاً عاديّاً أو ناقداً أدبياً، «إنّ الشعراء والروائيين كما يصفهم (سيغموند فرويد) هم أعزّ حلفائنا، وينبغي أن نقدّر شهادتهم أحسن تقدير؛ لأنّهم يعرفون أشياء. لم تتمكّن بعدُ حكمتنا المدرسيّة من الحُلم بها. فهم في معرفة النفس علّمونا، نحن معشر العامّة؛ لأنهم ينهلون من موارد لم نُفلح بعدُ في تسهيل ورودها على العِلم» ويرى إيمانيول كانت «أنّ الإبداع يأتي من مخيّلة الفرد، فهو قادر على استنساخ أفكار جديدة من البيئة المحيطة به»، فالإبداع يعطي الشخص القوة من أجل إنتاج الأفضل فيحصل الفرد على مستقبل زاهر.

السؤال الثاني:
ماذا يعني أن تصدر ديواناً جديداً؟!

يقول الشاعر حسن النجار في هذا السياق أن تصدر ديوانًا شعريًّا أي أن تعودَ لنقطةِ الصفرِ مرةً أخرى، إذ تشعرُ بأنكَ لا تملكُ قصيدةً واحدةً، كلُّ ما كتبتَه صار ملكَ الآخرينَ الآن.

أن تعودَ لقراءةِ الشعرِ بنظرةٍ أخرى، كمن فاته الكثير ولم يستكشفْ المجهولَ بعد، وفي هذه العودةِ خفَّةٌ في الروحِ، لا تتتابُ إلا قارئاً لا ينظرُ إلى أبعدَ من ذلك، وهو شعورٌ بحريةٍ ما، أنْ أقرأَ لأتأملَ من جديد، أن أعشقَ مساحاتٍ كنتُ أغمضُ عنها، أن أتحركَ في براريِ الكلام وأدغالِ اللغةِ مثلَ ريحٍ تهبُّ لا يحدُّها طَريقٌ أو اتساعٌ، تلمسُ الأرضَ بمزاجِها، وتقرصُ أوراقَ الشجرِ بشغبِها، وتسكنُ لحظةَ ما تشاء.

أن تصدرَ ديواناً جديداً يعني أنكَ في رفٍّ ما، مثلُ مئذنةٍ لم يجفَّ عن هالتِها صوتُ المنادي، تجري حواراً مع الأعين كلما سمحَ الضوءُ أن يعبئَ المساحةَ بينكما، أن تحسَّ بربكةِ الأيادي وهي تلتقطُ طرفَ الديوانِ وكأنَّ للأناملِ عقلاً يفكرُ من خلالها، أن توخزَ قلبَ أحدهم بأن مرَّ زمنٌ وهو يؤجلُك، ربما لإيمانِهِ بأنَّ موعدَ قطافكَ لم يحنْ بعد.

أن تصدرَ ديواناً يعني أن تمنحَ الآخرين صوتَكَ ليستعيروه كلما صدحتْ حناجرُهم بحروفِكَ، وأن تأخذَ مكاناً في ذاكرةٍ ما، تشغلُ مساحةً كانتْ فارغةً أو أن تتكدَّسَ في فوضاه وتخلقَ له مزيداً من الضياعِ الذي يسكنُهُ.

أن تُنسى في المقعدِ الخلفيِّ لسيارةِ أحدهم، فتشربُ الشمسُ من سناهُ، وتستعيرُ شيئاً من ألوانِهِ، وتكونُ عبئاً كلما دخل راكبٌ بجانبه، لا يمهلُهُ أكثرَ من نظرتينِ خاطفتيْنِ ثم يصنعُ خيراً إذ يحركُهُ من مكانِهِ قليلاً، فتستديرُ وجهةٌ أخرى منه للشمسِ لتكملَ استعارةَ الألوان.

أن تصدر ديواناً يعني فرصةَ أن ترافقَ أحدَهم إلى مقهى، وتسترقَ السمعَ للأحاديثِ الجانبيةِ، والغيبةِ، والشتائم، أو لموسيقى هادئةٍ وتوقظُكَ رائحةُ قهوةٍ قادمةٍ من مرتفعاتِ الإنديزِ الشاهقةِ.

أن تصدرَ ديواناً يعني أن تفتحَ صفحةً بيضاءَ وتقول: وماذا بعد؟!

السؤال الثالث:

ما ركائز الإبداع الشعري؟

شرح الشاعر عبد الله الخضير رأيه بالآتي: يقول (نيل سايمون) «أنا لا أكتب واعياً، يبدو الأمر كأن ملاكاً يجلس فوق كتفي». ويؤكد عباس محمود العقاد في كتابه «عرائس وشياطين» «إنّ الأساطير اتفقت بأنّ الشعر من وحي العرائس أو من وحي الشياطين، فاختار الأوروبيون أن يتلقّوا وحيهم من عروس، واختار العرب أن يتلقّوا وحيهم من شيطان، ولا نراهم اختلفوا كثيراً في نهاية المطاف».

عبد الله الخضير يؤمنُ بأنّ الإبداع مهارات يمكن أن يكتسبها الجميع، وتُوجّه لخدمة الفرد والمجتمع. آمن بنفسه وقدراته، فهو يستطيع أن يبدع في أيّ مجال يحبّه، بعدما يتعرّف على مهاراته ويطوّرها ويوظّفها في مجال شغفه. آمنَ بأنّه موهوب ويمتلك دافعيّة مرتفعة في مجال الكتابة الإبداعية فكتب في الشعر والنقد والقصة وأدب الرحلة والتراث والصحافة.

أمّا فيما يتعلق في موضوعنا لهذه الحلقة وهو « التجربة الشعريّة»، فالشاعر الخضير يرى أنّ الشعر وإن كان ظاهرة تعبيرية في الحياة الإنسانية، إلاّ أنّ له

مقوّمات أساسية تبلوره وتميزه عن غيره من الأشكال اللغوية والأجناس الأدبية، وهذه الأجناس على رأي الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي أنّها تتحقق في صور مختلفة وتتغير أماكنها وعلاقاتها ولكنها تظل موجودة تؤدي وظائفها الحيوية في القصيدة «وفي رأيي أنّ ثمّة أربع ركائز أساسية تمثّل الإبداعية الشعرية تشمل الموسيقى، اللغة، التخيّل (الطاقة الداخلية المنتجة للتوهم أو التوقع بكل توابعها البلاغية) والمعنى.

ومع إيماني الكامل بهذه المرتكزات إلاّ أن الحياة المتجددة تفرض باستمرار لغة ورؤى وأخيلة ومعاني جديدة، وفي تقديري أنّ الساحة الشعرية العربية فتحت المجال للجميع بكتابة القصيدة العمودية، وقصيدة التفعيلة، والكتابة النثرية بلغة الشعر).

المحور الرابع

الإبداع الشعري في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

تناول هذا المحور الفروقات بين إبداع الأمس واليوم في الشعر وخاصة في دول مجلس التعاون الخليجي من وجهة نظر الشعراء المشاركين، تلخصت الآراء في الآتي:

السؤال:

ما الفروقات بين إبداع الأمس وإبداع اليوم في دول الخليج في الشعر؟

يقول الشاعر حسين السماهيجي: هناك فروقات كبيرة بين إبداع الأمس وإبداع اليوم في دول الخليج. جانب كبير من ذلك يرجع إلى الإمكانيات الكبيرة جدّا التي توفّرت لدى المتلقّي في دولنا. ما كان من قبل صعب الوصول، أصبح اليوم سهلًا يسيرًا. مصادر وقنوات العلم والأدب متاحة للجميع. بل هي متاحة لدرجة الاستفاضة. لو أراد المبدع الوصول إلى أيٍّ من تلك القنوات فلن تتعسّر طريقه. أقول ذلك، مع إدراكي لحجم التحديات التي تواجه المبدعين. فانفتاح مجتمعاتنا في الخليج على الحداثة التقنية ووسائل التواصل خلق تهديدًا مرعبًا. هناك لهاث عند الرّاكضين خلفها. وقد صرنا نرى ظواهر لم نكن نراها من قبل. هناك الكثير من مدّعي الإبداع. من المتوهّمين بأنّهم يملكون الكثير الكثير. وهم في الواقع لا يملكون شيئا. لذلك، نحن بحاجة إلى وعي إبداعيّ جديد. كذلك نحن بحاجة إلى طبقة جديدة من النُّقّاد تملك الجرأة على قول «لا» للكثير من الذي ينتج ويُقدّم على أنّه إبداع. وهذه، بالطّبع مسألة معقّدة وشديدة الحساسيّة.

ويسهم الشاعر محمد التميمي في الإجابة، فيقول: الفروقات واضحةٌ بين إبداع الأمس واليوم، وذلك بسبب تغيّر ظروف البيئة والمعيشة. فتغيّر الإبداع نتيجةً للتغيّر الذي حصل في حياة الناس اليوم خاصّةً مع سيل التطوّر العرم الذي جرف كلَّ شيءٍ وجرف معه المبدعين. فانظر

مثلاً إلى طول النفس في القصيدة، فقد كان الشعراء القدماء يطيلون قصائدهم ويسهبون فيها. أمّا الآن بسبب عجلة الحياة السريعة والتكنولوجيا فإننا نجد أن المبدعين يميلون للاختزال بل وحتّى المتلقّي أصبح يفضّل القطع الشعرية. ومع ذلك فإنّ في عصرنا هذا شعراءَ لا يشقّ لهم غبارٌ، أبدعوا وأجادوا وتألقوا وأتوا بغرائب الشعر، واستفادوا من هذا التطوّر ومزجوا بين الماضي والحاضر بأروع الأبيات.

وتَلخَص رأي الشاعر حسن النجار في الآتي: إبداع اليوم هو امتداد لإبداع الأمس، بين أجيال تؤمن بالقصيدة، وتؤمن بمهمة الشعر في هذا العصر، وأن الشعر تعبير وموقف، أما عن الفروقات بين إبداع الأمس واليوم، فإن إبداع الأمس يعدُّ مؤسساً وملهماً وقادماً من جيلٍ كان يشق طريقه بشتى الطرق من مجلات الحائط حتى ظهور المجلات، وإبداع الأمس كان يوثق لحظته بالكِتاب، أما إبداع اليوم فإنك تراه على المنصات كافة ومن أهمها وسائل التواصل الاجتماعي، وما زال الكتاب محتفظاً بأهميته مع إبداع اليوم، وهو جيل يريد أن يوصل صوته ويعلن عن وجوده.

وفي دول الخليج نرى الإبداع ممتداً ومتواصلاً بين جيل وآخر، وهناك أسماء جديدة تظهر مما يبشر بأنَّ الثقافة والإبداع والشعر صاروا جزءاً من مكونات المجتمع في المنطقة، تُقام لها المسابقات والجوائز المحلية والعربية والعالمية، ويُعتنى بمن يبرع في فن أو أدب، وفي ظل وسائل التواصل الاجتماعي لم يعد هناك من يركن في الهامش، فلكلٍّ منصته وقنواته التي بإمكانه أن ينشر فيها إبداعاته.

وللشاعر عبدالله الخضير نظرة نقدية حيث قال: وقد رأيتُ تبايناً في النظرة للعملية الإبداعية، فاللغويون والرواة مثلاً، رأوا أنّ على الشاعر أن يترسّم خطا الأقدمين في التعبير، ويتّبع سننهم في القول، ويتمثّل نماذجهم لا يحيد عنها في شعره. بينما رأى النقاد أنّ من حق الشاعر أن يخرج عن المثال القديم؛ ليجدد في شعره، وآلية إبداعه، مسايرة للتطور الحاصل في الحياة نفسها، هذا الأمر جعل المثيرين من الشعراء أن يتمرّدوا على السائد، فخرجوا في أشعارهم على المألوف والمعروف، ولا أحد يستطيع أن ينكر ما أحدثته ثورة أبي تمام مثلاً في عالمي الشعر والنقد، وكذلك ما فعله أبو نواس، ومن بعده المتنبي، وأبو العلاء. فهل

النظرية الإبداعية هي «الخروج على المعيار وليس التزاماً به، والمعيار هو صفة لصيقة للمرجعية أو المحافظة»، هذا يذكرني بقول الشاعر:

وأجــودُ الشـعـر مـا يـكسـوه قـائلُـه بوشي ذا العَصْر لا الخالي من العُصَرِ

وفي الحلقة شارك الشاعر الدكتور عبد الله الخضير بقصيدته «أتخفّى في سيرةِ نبيّ»

خـوفـاً مـن الآتـي وظلـمـةِ جَـورِهِ مـنـذُ احـتـفـالي بـالـزّمـانِ وغَـدْرِهِ
في كُـلِّ ذاكـــرةٍ تـقـولُ فـراشـةٌ لا تجـعـلِ المـاضـي يـبـوحُ بـسِـرِّهِ
قـلـبـي تـعـقّـبـنـي وأغـلـقَ بـابَـه حتّى بقيتُ على مشارفِ صدرِهِ
صـعـبٌ عـلـيَّ بـأن أشـكّـلَ طينتي فـالـمـاءُ يـغـسـلُـنـي بـعـلـقـمِ مُـرِّهِ
لم يبقَ من تَعَبي سوى قدَحي الذي مـــازالَ يُـسـلـيـنـي بـلـذّةِ خَـمْـرِهِ
لم أسألِ الصدّيقَ عن جَسَدي الذي مـــازال مـوجـوعـاً بـحُـفـرةِ بئـرِهِ
لا شـيء يُـقـلـقـنـي كـأنّ عـقـيـدتي نَـــذْرٌ تـبـرَّأ مـن طـلاسـمِ نَـــذْرِهِ
قـد جـاءَ في التكوين أنّ مدامعي سـالـتْ عـلـى روحِ الخـلـيـلِ ونـارِهِ
ومـلامحـي خَـجـلى كـسـجـدةِ ناسكٍ زهـدَ الحـيـاةَ عـلـى مـطـالـعِ فـجْـرِهِ
إنْ كـانَ في طُـوفـانِ نـوحٍ حكمةٌ فـأنـا المـطـيـعُ المـسـتـجـيـبُ لأمـرِهِ
وأقـــولُ يـا مـــولايَ أيـــنَ مُـحـمّـدٌ هـلْ مـن سـبـيـلٍ لـلـحـبـيـبِ وغَـــارِهِ؟
خـلـفـي مـن الـهـمِّ الـثـقـيـلِ رسـالـةٌ جـاءتْ كـأيّـوبٍ تـفـيـضُ بـصـبْـرِهِ
مـسـعـايَ أمٌّ تـسـتـغـيـثُ بـزمـزمٍ حنّتْ على عطشِ الصّغيرِ وعُمْرِهِ
أحـكـي إلى النُّسّـاكِ ذنـب غـوايتي مـالـي سـوى الـبـلـدِ الـحـرامِ وطُـهْـرِهِ
إنْ كـنـتُ ذا عُـسْـرٍ فـربّـيَ قـالَ لي الـيُـسْـرُ مُـخـتـبـئٌ بـبـاطـنِ عُـسْـرِهِ

المحور الخامس

رسالة شاعر من الخليج

هذا المحور عبارة عن رسائل من بعض الشعراء المشاركين، يعبرون فيها عن ذواتهم الإنسانية ومتعلقاتها:

السؤال الأول:

لمن تهدي إبداعك؟ وإلى أين تتجه به؟

اخْتصر الشاعر حسين السماهيجي الإجابة، قائلًا: أهدي إبداعي إلى روح والديّ العزيزين، فهما كان لهما الفضل الأكبر عليّ. وأتّجه به إلى الإنسانيّة بوصفها الجامع الأكبر لبني البشر. فما هذا الذي أكتبه وأقوله إلا نفحة من نفحات هذا الخلق العظيم المعجز الذي اسمه «إنسان».

وأمَّا الشاعر محمد التميمي، فقد قال: أهدي إبداعي لكلّ من يعرف قيمة الإبداع، ولا أكترث بالمحبطين. وقد قلت من قصيدةٍ طويلةٍ أعارض فيها معلّقة الحارث بن حلّزة اليشكريّ إلى أين أتجّه في الإبداع.

لا أُبـالي إن لم يـروا نـورَ بـدري ... خـلـدُ أرضٍ وحـيّـةٌ عـمـيـاءُ

لمْ أدَع صـهـوةَ الحـصـانِ وعـزمـي ... لي غـذاءٌ ولـلـحـصـانِ غـذاءُ

وعـتـاقـي مـن نـسـل أعـوجَ تـعـدو ... تـسـبـقُ الـريـحَ إنْ حـمـى الإمـضـاءُ

فـهـزيمُ الـرعـودِ صـوتٌ صـهـيلٍ ... وهـلالُ الـفـضـا لخـيـلـي حِـذاءُ

طـلـتُ مـا لا يـطـولُـهُ أيُّ كـفٍّ ... وخـيـولي إسـطـبـلُـهـا الجـوزاءُ

السؤال الثاني:

ما لم يذكر وتود قوله لترك بصمتك الإبداعية الخاصة؟

أنهى الشاعر حسين السماهيجي الحلقة بقوله: ما أودّ قوله أخيرًا، هو أنّ المبدع الحقيقيّ عليه أن يلتفت في إبداعه إلى أنّ المشترك الإنسانيّ هو ما يعوّل عليه. ولذلك، فمن البائس لو وجدتَ عملًا إبداعيًّا وهو يفتقر إلى تحسّس الإنسان في أفراحه وأتراحه. وعلينا أن نعلم جميعًا بأنّ ذلك هو لسان حال المبدع العربي. يقول أبو العلاء المعرّي:

فلا هَطَلَتْ عَلَيَّ ولا بأرضي ... سحائبُ ليس تنتظمُ البلادا

ثمّ قال محيي الدين بن عربي:

أدينُ بدين الحُبِّ أنّى تَوَجَّهَتْ ... ركائبُهُ فالحُبُّ ديني وإيماني

وختم الشاعر محمد التميمي بالصلاة على أشرف الخلق نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم بإلقاء قصيدةٍ في أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم:

ما بالُ جَفْني حين باتَ مُسَهّدَا ... يرعى الثريّا والسمَاكَ وفَرْقدَا
وكأنَّ جسمي فيهِ لدغُ عقاربٍ ... أينَ الصباحُ لقد أطالَ الموعِدَا
لم أسترح حتّى بدت فزّاعةٌ ... لليلِ طيّرتِ الغرابَ الأسودا
لم أسترِح حتّى تبدّتْ غُرَّةٌ ... من نورِ صبحٍ والظلامُ تبدّدا
لم أسترِحْ حتّى قطعتُ مهامهاً ... فيها السرابُ أراهُ بحراً مُزْبِدا
كمْ قفرةٍ سُحَمُ السباعِ تخافُها ... عوّدتُ قلبي قطعَها فتعوّدا
كمغالقٍ مُتشابهٍ أجسامُها ... بيدٍ تشابُهُها أضاعَ المُرْشِدَا

لو جاءها الخرّيتُ ضيّعَ دربَهُ ... حتّى يناولَهُ الظما كأسَ الردا
فيها فحولُ الجنِّ تنشِدُ شعرَها ... أنشدتُهم لمّا استهاضَ فأنشَدا
يا ناقتي سيري وجوبي أنجُدا ... فلقَد حلَفْتُ بأنْ أزورَ مُحمّدا
آليتُ أنْ لا تستريحَ نجائبي ... حتّى يُنحِّفَها المسيرُ لأحمدا
شاقت فؤادي روضةٌ في مسجدٍ ... أحببتُ أن آتي لها مُتعبّدا
قد هاجني لما أنختُ مطيّتي ... بعْدَ السُرى لما دخلتُ المسجِدا
قبرٌ بطيبةَ ضمَّ أطيبَ من ثوى ... من شوقِهِ ضمَّ النبيَّ مُحمَّدا
قبرٌ بهِ خيرُ الخلائِقِ كلِّهِم ... الأرضُ خافَت للسُها أنْ يصعدا
من طيبِ خيرِ الناسِ طابَ ترابُهُ ... أكرِمْ بهِ قبراً وأكرِمْ ملْحدا
قد سالَ لمّا قيلَ هذا لحدُهُ ... دمعٌ أطالَ بمقلتيَّ تجمّدا
بورِكْتَ يا قبرَ الرسولِ ومنزلاً ... فيهِ كريمُ الكفِّ باتَ مُمدّا
ذاك الذي من هو الكرامُ تعلَّمَت ... كيف السماحةُ والمكارمُ والندى
علّى الإلهُ الحقُّ ذكرَ نبيِّهِ ... ذكراً تردّدهُ المآذنُ والصدى
يا عينُ فابكِ أعزَّ من وطِئَ الثرى ... يا عينُ فابكِ الهاشميَّ السيّدا
صلّى الإلهُ على النبيِّ محمدٍ ... ما أنْشَدَ الطيرُ الطروبُ وغرّدا
وعلى أبي بكرٍ خليفةِ أحمدٍ ... أزكى ثناءً حقُّهُ أنْ يُحْمَدا
وكذلك الفاروقُ صهرُ رسولِهِ ... والراشدون بهديهم نورُ الهدى
صلّى الإلهُ على النبيِّ وصحبِهِ ... ما أعرقَ الركبُ الحثيثُ وأنْجَدَا
صلّى الإلهُ على النبيِّ وآلِهِ ... أزكى الورى نسباً وأكرمُهم يدا
صلّى الإلهُ على ابنِ آمنةَ الذي ... أدّى البلاغَ ودينُهُ عمَّ المدى
واللهُ يجمعُنا بخيرِ عبادِهِ ... في جنّةِ الفردوسِ حتّى نسعدا

خاتمة

احتوت الحلقة النقاشية على الكثير من المضامين، والآراء، والأفكار رغم زمنها القصير، وقد سجلنا أعلاه أهمَّ ما دار فيها من حوار، ولمزيد من الفائدة يمكن للمهتم الرجوع لتسجيل هذه الحلقة النقاشية عبر الاطلاع في موقع المركز، وقد خلصت الحلقة إلى الآتي:

- الإبداع قدرة إلهية، مرتبطة بجينات الإنسان، يدوم بالتطوير والاستمراريّة، فالإبداع ميزة يمتاز بها أشخاصٌ معيّنون.
- الإيمان بأنّ الإبداع الشعري هو نتيجة مهارات يمكن أن يكتسبها الشاعر.
- عملية الإبداع عملية تفاعليّة بين الفرد والمجتمع، قوامُها الإنجاز والتأثير في البيئة المحيطة بالمبدع، عبّر عن ذلك فرانسيس غلتن في كتابه المعروف (العبقرية الوراثية: «إنّ العبقرية تُعرف بالإنجاز، والمبدعون قادة ثقافيّون مؤثّرون».
- الإبداع الشعري عملية لا تُبتكر من فراغ بل نتيجة لعوامل مؤثّرة تصنع الخَلْق لدى الشاعر في موازنة بين الروح والجسد، الواقع والحُلُم، الشدّة واللين.
- النموذج الأكمل في الإبداع الشعري تمثّل في موهبة شعراء المعلّقات الذين جوّدوا أشعارهم على امتداد سنة (الحوليّات)؛ لأنّهم التزموا بأركان الإبداع الشعري من خلال اللغة وموسيقى الشعر والمعاني والخيال والمجازات، وهذا يعني أن الإبداع مقترن بالموهبة التي قال عنها (لانج وإيكوم): «هي قدرات خاصة ذات أصل تكويني».
- الإبداع لدى الشاعر مرتبطٌ وبدرجة كبيرة باتساع ثقافته، وذلك من خلال قدرته على تحوير الكلمات، وتوظيف الشخصيات، واستدعاء الأعلام واستحضار الأماكن؛ للتعبير عن الأفكار بلغة فيها الكثير من الرمز والدلالات والإيحاءات.

التوصيات

خرجت الحلقة بمجموعة من التوصيات، أهمها ما يلي:

- تنويع اللقاءات بحيث تغطي مختلف المجالات الإبداعية (شعر، سرد، نقد، مسرح).
- الدعوة إلى تكثيف حضور المادّة الإبداعية في المناهج الدراسية في دول الخليج العربية.
- عقد ندوات ولقاءات نقديّة تختصّ بالمشهد الإبداعي في دول الخليج العربية.
- العمل على طباعة الأوراق النقدية/البحثيّة في إصدارات ورقيّة. وذلك كي تحفظ جهود المركز؛ وتكون مرجعًا للباحثين في المستقبل.
- تزويد الجامعات والمؤسّسات والمراكز البحثيّة بالإصدارات الورقيّة التي سيصدرها المركز في مجال الشعر.
- تنظيم مهرجانات في الشعر والقصة والفن لمبدعي مجلس التعاون، والأهم من عملها إضافة الزخم لهذه المهرجانات بالحضور والإعلان ومشاركة الشعراء والفنانين، ومزج أصحاب الخبرة مع الشباب.
- إصدار دورية شهرية تجمع الإبداعات الشعرية والقصصية والفنية وتوزيعها ورقياً وإلكترونياً.
- تنفيذ برنامج شهري يسمى: «مبدع الشهر».
- عقد المزيد من اللقاءات مع المبدعين من الخليج العربي.
- إبراز نجوم شعراء الخليج بعد اكتشاف مواهبهم وإبراز هذه المواهب لتتصدّر المنابر والمحافل العالمية.

- إصدار دواوين شعرية مكتوبة ومسموعة وتنشر في مشارق الأرض ومغاربها.
- تحريك الساحة الشعرية بالمسابقات الكبيرة الضخمة.
- سعي المركز لتكوين كوكبة من النقّاد الكبار في الشعر والأدب؛ لأنّ الأدب إذا ازدهر فإنَّ النقد سيزدهر معه.

الإشراف العام

أ.د. عبدالله بن سيف التوبي

مدير مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية

إعداد الكتيب

د. نبهان بن سيف اللمكي

التواصل والتنسيق

سالم بن محمد الحجري

المراجعة اللغوية

سمية بنت سليمان السليمانية

للتواصل:

CTAPA@GCCSG.ORG | (+٩٦٨) ٢٤٩٦٨٨٥٩

@CTAPA_GCC | (+٩٦٨) ٢٤٦٧٥٥٠

ص.ب: ٥٣٩، الرمز البريدي: ١١٨، مسقط، سلطنة عُمان